

أ.د.سعد التميمي

المحسنات البديعية المعنوية

اولا : (التورية )

التورية : يسميها القزويني بالإبهام ويسميها ابن ابي الاصبع بالتوجيه، ويسميها آخرون بالتخيير.  
والتورية في اللغة: جاء في اللسان (ورى): «وريت الشيء وواريته: أخفيته، وتوارى: استتر، ووريت  
«الخبر: جعلته ورائي وسترته، ووريت الخبر أوريه تورية: إذا سترته وأظهرت غيره والتورية: الستر  
في الاصطلاح يعرفها الخطيب التبريزي بقوله: «وهي أن يطلق لفظ له معنيان: قريب، وبعيد، ويراد به  
البعيد منهما». فالتورية عبارة عن دالّ واحد له مدلولان: الأول مدلول قريب لا يلائم المقام لذلك فهو ملغى  
ومستبعد. والثاني بعيد يلائم المقام مقبول ومعتمد.

ركنا التورية: للتورية ركنان هما

1-المورى به وهو المعنى القريب للفظة الذي لا يقصد اليه المتكلم ويستتر به سواه.

2-المورى عنه وهو المعنى البعيد المستور الذي يعنيه المتكلم.

أقسام التورية:

قسمها القزويني على قسمين هما على أساس ما يذكر معها : تورية مجردة وتورية مرشحة، وزاد  
المتأخرون فأوصلوها الى أربعة بإضافة المبينة والمهياة .

1-: المجردة : وهي التي تتجرد عما يلائم كلا من المعنيين أي المرى به والمورى عنه مثل قوله تعالى  
(الرحمن على العرش استوى)فالتورية هنا لم تتضمن ما يلائم المورى به المعنى القريب غير المقصود  
وهو الاستقرار ، ولم يتضمن ما يلائم المرى عنه البعيد المقصود القدرة ، رغم ان بعض العلماء يرى ان  
العرش مما يلائم المورى به .

ومن ذلك قول الشاعر:

كأن كانون أهدى من ملابسه لشهر تموز ألوانا من الحلل  
أو الغزالة من طول المدى خرفت فما تفرق بين الجدي والحمل

فالشمس قد خرفت، فبدل أن تنزل في برج الدفء وهو برج الحمل، نزلت في برج البرد وهو برج الجدي،  
وكأنها لم تستطع أن تفرق بين البرجين؛ لتخريفها والشاهد في الغزالة فإنه لم يذكر معها شيء من لوازم  
الغزالة الوحشية وهو المورى به كطول العنق وحسن الالتفات ولا شيء من لوازم الغزالة الشمسية كالطلوع  
والاشراق.

وإذا اتى في التورية بلازم لكل من المعنيين فتتكافأ ولم يترجح احدهما فكأنك لم تذكر شيئا فتلحق بالمجردة  
مثل قول الشاعر :

يا عادلي فيه قل لي إذا بدا كيف أسلو  
يمر بي كل وقت وكلما مر يحلو

فالمعنى: يا لائمي دلني كيف أسلو عن محبوبتي حين أراها وكثيرا ما أرى المحبوب مارا بي، وفي كل مرة أراه يزداد حلاوة عندي؟ والتورية في البيتين في لفظ "مر" إذ معناه القريب الواضح من المرارة، والمعنى البعيد الخفي من المرور. وقد قرنت التورية هنا بما يلائم المعنى القريب كما قرنت أيضا بما يلائم المعنى البعيد، فالذي يلائم المعنى القريب هو قوله: "يحلو" إذ هو من الحلاوة التي هي ضد المرارة، ومن ملائمتها الذي يلائم المعنى البعيد قوله: "يمر بي كل وقت" فلما اجتمع فيها الملائمان كانت كأن لم يجامعها شيء، فهي مجردة. ومما ذكر فيها ملائمان لكل من القريب والبعيد قول الشاعر:

أقول وقد شنوا إلى الحرب غارة دعوني فإني أكل العيش بالجبن

ولفظ "الجبن" له معنيان؛ قريب موری به وهو الجبن المأكول، وبعيد موری عنه وهو الجبن ضد الشجاعة، وهذا هو المراد، وقد ذكر الشاعر ملائما للمعنى البعيد وهو قوله: "شنوا إلى الحرب غارة" وذكر ملائما أيضا للمعنى القريب وهو: "أكل العيش". ولذا فهي تورية مجردة. ومثلها كذلك قول ابن الوردي  
قالت: إذا كنت تهوى وصلي وتخشى نفوري  
صف ورد خدي وإلا أجور ناديت جوري

لفظ: "جوري" التي جاءت في آخر البيت الثاني له معنيان، قريب ظاهر غير مراد، وذلك بأن يكون فعل أمر من جار مسند إلى ضمير المخاطبة، وقد ذكر ملائم له وهو: "وإلا أجور". وبعيد خفي مراد وهو اسم نوع من الورد يسمى جوري، وقد ذكر ما يلائمه وهو قوله: "صف ورد خدي".

2- التورية المرشحة؛ وهي التي قرنت بما يلائم المعنى القريب غير المراد الموری به، وإنما سميت مرشحة؛ لتقويتها بذكر لازم المعنى القريب غير المراد، فإنها تزداد بذكره إبهاما، والملائم للمعنى القريب قد يكون قبل لفظ التورية وقد يكون بعده،  
فقد يقع الترشيح سابقا للفظ الحامل للتورية، وذلك كقول الله تعالى (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) فالتورية في لفظ: (يد) وهوله معنيان: قريب واضح وهو الجارحة المعروفة وبعيد خفي وهو الذلة والاستكانة، والمراد هو المعنى البعيد. وقد قرنت التورية بما يلائم المعنى القريب الموری به وهو قوله: {يعطوا} لأن الإعطاء عادة يقع باليد فهي إذا مرشحة، وقد وقع الترشيح وهو الإعطاء قبل لفظ التورية. ومن شواهد هذه الصورة قول السراج الوراق:

يا خجلتي وصحانفي سود بدت وصحانف الأبرار في إشراق  
ومؤنب لي في القيامة قال لي أكذا تكون صحانف الوراق

فالتورية في لفظ "الوراق" فهو لفظ حامل لمعنيين؛ أحدهما: قريب واضح وهو الذي يبيع الوراق، والآخر: بعيد خفي وهو اسم الشاعر، والمعنى المراد هو البعيد. وقد قرنت هذه التورية بما يلائم المعنى القريب وهو

الصحائف، فهذا اللفظ يناسب بائع الورق. وقد جاء هذا اللفظ سابقا للتورية، وعلى هذه الصورة جاء أيضا قول أبي الحسين الجزار

كيف لا أشكر الجزارة ما عشت      ت حفاظا وأهجر الآدابا  
وبها صارت الكلاب ترجيد      ني وبالشعر كنت أرجو الكلابا

فالتورية في لفظ "كلاب" الثاني؛ لأن له معنيين: قريب واضح وبعيد خفي، فالقريب هو الحيوان المعروف، والبعيد هو لئام الناس وشرارهم، وهو المراد، وهي تورية مرشحة حيث جمعت ما يلائم المعنى القريب وهو قوله: "صارت الكلاب ترجيني" وقد وقع هنا الترشيح قبل لفظ التورية ومن الشواهد الأخرى قول الحريري:

يا قوم كم من عائق عانس      ممدوحة الأوصاف في الأندية  
قتلتها لا أبتغي وارثا      يطلب مني قودا أو دية

فالتورية في لفظ "عانس" فهو لفظ حامل لمعنيين: قريب وهو البكر التي طال مكثها في بيت أبيها ولم تتزوج، وبعيد وهو الخمر، والمراد هو البعيد، وقد قرنت بما يلائم المعنى القريب وهو القتل والقود والدية، إذ إنها مما يناسب الإنسان وليس الخمر، فهي تورية مرشحة جاء ترشيحها متأخرا عن لفظ التورية ومن بديع التورية المرشحة على هذا النمط قول شوقي في رثاء حافظ إبراهيم:

يا حافظ الفصحى وحارس مجدها      وإمام من نجبت من البلغاء  
خلفت في الدنيا بيانا خالدا      وتركت أجيالا من الأبناء  
وغدا سيذكرك الزمان ولم يزل      للدهر إنصاف وحسن جزاء

فالمعنى القريب للفظ حافظ أن يكون اسم فاعل من حفظ، وقد ذكر ملائما لهذا المعنى وهو "الفصحى" و"حارس" فهما يقتضيان أن يكون لفظ حافظ من المحافظة، والمعنى البعيد هو اسم شاعر النيل حافظ إبراهيم، فالتورية تورية مرشحة.

**3- التورية المبينة** هي ما ذكر فيها لازم المعنى البعيد المورى عنه، وسميت كذلك؛ لأن هذا اللازم يبينها ويقربها، وقد يكون لازما قبل لفظ التورية كما في قول البحتري ووراء تسدية الوشاح ملية ... بالحسن تملح في القلوب وتعذب فلفظ "تملح" يحتمل أن يكون من الملوحة ضد العذوبة، وهذا هو المعنى القريب المورى به، ويحتمل أن يكون من الملاحه وهو الحسن والجمال، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه. وقد تقدم ذكر ملائمي وهو قوله: "ملية بالحسن" أما قوله: "تعذب" فيلائم كلا من الملوحة والملاحه، يلائم الملوحة على أنهما ضدان، ويلائم الملاحه على أنهما مترادفان. ومن ذلك قول الشاعر:

قالوا أما في جلق نزهة      تنسيك من أنت به مغرى  
يا عاذلي دونك من لحظه      سهما ومن عارضه سطرأ

فالمعنى البعيد المورى عنه لكل من السهم والسطر هو الموضوعان المشهوران بمنزوات دمشق، وقد ذكرت النزهة بجلق قبلهما وهي من ملاءمات هذا المعنى، أما المعنى القريب المورى به فهو "سهم اللحظ" و"سطر عارض" وهما غير مرادين. ومن ذلك أيضا قول الشاعر:

أمولانا ضياء الدين قل لي      وعش فبقاء مولانا بقائي  
فلولا أنت ما أغنيت شيئا      وما يغني السراج بلا ضياء

ففي لفظي "السراج" و"ضياء" تورية مبينة إذ معناهما القريب المصباح الذي يستخدم في الإضاءة، والضوء الذي يبدد الظلام، ومعناهما البعيد اسم الشاعر واسم الممدوح، وقد ذكر قبل اللفظين ما يلائم هذا المعنى البعيد وهو قوله: "مولانا ضياء الدين"، "لولا أنت ما أغنيت شيئا". وقد يذكر لازم المورى عنه بعد لفظ التورية كما في قول الشاعر:

أرى ذنب السرحان في الأفق طالعا      فهل ممكن أن الغزالة تطلع

فالبيت به تورتان مبيتان وهما في: "ذنب السرحان" وفي "الغزالة". إذ المعنى القريب لذنب السرحان ذنب الحيوان المعروف وهو الذئب، وللغزالة الطبي، والمعنى البعيد المورى عنه للأول ضوء النهار وقد ذكر بعده ما يلائمه، وهو قوله: "في الأفق طالعا" وللثاني الشمس، وقد قرن بملائمه: "تطلع" فالتورية في الموضوعين مبينة، حيث ذكرنا بعد كل ما يلائم المعنى البعيد المراد. وجاء ذلك أيضا في قول ابن سناء الملك:

أما والله لولا خوف سخطك      لهان علي ما ألقى برهطك  
ملك الخافقين فتهدت عجبا      وليس هما سوى قلبي وقرطك

فالخافقان معناهما القريب المورى به المشرق والمغرب، ومعناهما البعيد المورى عنه قلبه وقرط حبيبه، وقد بين هذا المعنى بالنص عليه في الشطر الأخير: "وليس هما سوى قلبي وقرطك"

4- التورية المهينة فهي التي تفتقر إلى ذكر شيء قبلها أو بعدها يهينها لاحتمال المعنيين، وإلا لم تنتهياً التورية، أو تكون التورية في لفظين أو أكثر، لولا كل منهما لما تهيات التورية في الآخر من ذلك قول ابن سناء الملك: وسيرك فينا سيرة عمرية فروحت      عن قلب وأفرجت عن كرب  
وأظهرت فينا من سميك سنة      فأظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب

فالفرض والندب يحتملان أن يكونا من الأحكام الشرعية، وهذا هو المعنى القريب المورى به، ويحتمل أن يكون الفرض بمعنى العطاء، والندب بمعنى الرجل السريع في قضاء الحوائج، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه. ولولا ذكر لفظ "السنة" لما تهيأت التورية، ولما فهم من الفرض والندب الحكمان الشرعيان اللذان بهما كانت التورية. من ذلك أيضا قول ابن الربيع:

**لولا التطير بالخلاف وأنهم قالوا مريض لا يعود مريضا  
لقضيت نحبي في جنابك خدمة لأكون مندوبا قضى مفروضا**

فالمندوب يحتمل أن يكون اسم مفعول من: ندب الميت إذا بكاه، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه، والذي قصده الشاعر، ويحتمل أن يكون أحد الأحكام الشرعية وهو المعنى القريب المورى به، ولولا ذكر المفروض بعده لما تنبه السامع للمعنى القريب للمندوب، ولما كانت هناك تورية، فلفظ: "مفروضا" قد هيا هذه التورية. ومن ذلك قول علي في الأشعس بن قيس: "إنه كان يحوك الشمال باليمين". فالشمال يحتمل أن يكون جمع شملة، وهو الكساء يشتمل به، وهذا هو المعنى البعيد، ويحتمل أن يكون اليد الشمال نقيض اليمين، وهذا هو المعنى القريب. وذكر اليمين بعد الشمال هو الذي هيا لهذه التورية

من هنا يبدو الفرق بين ما يهيئ للتورية وبين ما يرشحها أو يبينها، فاللفظ الملائم في التورية المرشحة أو المبينة لازم من لوازم المعنى، أو بصيغة أخرى خصوصية من خصوصياته، فهو لازم خاص، ويشترط فيه ألا يكون من الألفاظ المشتركة، وهو إما مقو للتورية المرشحة أو مبيين للتورية المبينة، ولو لم يذكر هذا الملائم لصحت التورية وظلت موجودة. أما اللفظ المهيب فإنه إذا لم يذكر لا تكون التورية أصلا،